قضايا الوطن في شعر عيسى عبد الله

د. حسين احمد جمعة محاضر بجامعة أنجمينا- تشاد
أ.د. محمد النضيف يوسف أستاذ بجامعة الملك فيصل بتشاد

مستخلص

إن الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على شعر هذا الشاعر العملاق المتميز في ميدان الشعر التشادي والتي تمتاز قصائده بقوة التعبير، وسلاسة الأسلوب، وروعة التصوير، وارتقاء رونق الزخم الإيقاعي، كذا الموسيقى الرنانة المتفجرة من حسن توظيف العبارات والألفاظ وعمق العبارة، وقوة الفكر وامتزاجه مع الخيال في تكامل منطقي. حيث اتبعت الدراسة المنهج الوصفـــي التحليلي وللإجابة على إشكالية الدراسة تم تقسيم الدراسة بعد مقدمة إلى مبحثين وخاتمة.

الكلمات الأساسية: قضايا الوطن، الموسيقي الرنانة، الزخم الإيقاعي.

Abstract

The aim of this study is to shed light on the poetry of this giant poet who is distinguished in the field of Chadian poetry, whose poems are distinguished by the strength of expression, the smoothness of style, the splendor of photography, the luster of the rhythmic momentum, as well as the explosive resonant music from the good use of phrases and words, the depth of the phrase, and the power of thought And mixed with imagination in a logical integration. I followed the descriptive and analytical approach in this study. To answer the problem of the study, I divided after an introduction into two topics and a conclusion.

Key words: Homeland issues, resonant music, rhythmic momentum.

مقدمة:

إن ميدان الشعر التشادي المعاصر هو من أخصب الميادين عطاءً وأغزرها إنتاجاً ، وأقواها شعراً، وأعمقها فكراً.

وقد تميز الشعر في هذا العصر بظهور شعراء نشئوا في فترة نهاية الاستعمار أو في بداية استقلال البلاد ويبدو أن ظهورهم في هذه الفترة قد مدتهم بروح الثورة والتمرد. نتيجة لقربهم من الأحداث التي مرت بها البلاد أثناء فترة الاستعمار ومن هؤلاء الشعراء عيسى عبد الله الذي نشأ في السودان نتيجة لاستبداد المستعمر الذي دفع أسرته إلى النزوح.

ويبدو أن هذا العامل هو من العوامل التي شحنت الشاعر بالتمرد والثورة من ناحية، وحب الوطن والحنين إليه من ناحية أخرى وقد أسهمت البيئة التي نشأ فيها إلى تفتق شاعريته وتنمية ملكته الشعرية.

وكان انضمامه إلى صفوف الجبهة الوطنية لتحرير تشاد (فرولينا) وقد ألهمت مشاعره. وفجرت خواطره ، فأخذ يناضل بالسلاح، كما يناضل بالشعر واتخذ من عامل نضاله أساساً لقضايا شعره والتي تشمل قضايا الثورة الوطنية وقضايا المجتمع والإنسان، وغايته من ذلك هو الحرية وتحرير الوطن من براثن المستعمر وأذنابه.

وتتمثل أهمية شعر عيسى عبد الله بأنه مرتبط ارتباطاً كاملاً بتاريخ تشاد المعاصر وتاريخ الثورة والنضال الثوري ليس في تشاد فحسب بل في الدول الإفريقية والثورات ذات النزعة الاشتراكية وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع : قضايا الوطن في شعر عيسى عبد الله، هو ذلك الصدق الشعري في ثنايا قصائده، وقوة التعبير وسلاسة الأسلوب وروعة التصوير، وارتقاء رونق الزخم الإيقاعي والموسيقى الرنانة المتفجرة من حسن توظيف العبارات والألفاظ ، وعمق العبارة وقوة الفكر وامتزاجه مع الخيال في تكامل منطقي.

لذا تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين الأول: التعريف بالشاعر وحياته والثاني: قضايا الوطن في شعره.

والغاية من هذا كله هو تسليط الضوء على شعر هذا الشاعر العملاق المتميز في ميدان الشعر التشادي.

المبحث الأول

التعريـــــف بالشاعـــــر

اسمه:

يسمى عيسى عبد الله فضل، واشتهر بلقب أبو شويكيش، وذلك بسبب حمله "شاكوش" دائماً أي حقيبة يعلقها في جنبه. ولد الشاعر عيسى عبد الله في 13 نوفمبر 1948م بقرية شوكيان التي تقع شمال غرب مدينة أبشه عاصمة مملكة وداي.

نشأتـــــه:

كان ميلاد عيسى عبد الله عقب الحرب العالمية الثانية وحينها كانت جمهورية تشاد تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي وسعت الإدارة الفرنسية عبر حاكمها في وداي إلى ضرورة نشر الثقافة الفرنسية بين الأهالي في المنطقة ، كما هو الحال في جميع المناطق التي كانت تحت الاستعمار الفرنسي ، حيث لجأت المستعمر إلى سياسة التعليم الإجباري ، وذلك بأخذ الأطفال بالقوة إلى المدارس الفرنسية التي أسسها المستعمر في مختلف أرجاء الإقليم.

وبهذا الأسلوب العنيف وجد الفرنسيون الفرصة سانحة لعرض ثقافتهم، وطرق حياتهم على الشعوب الأفريقية متجاهلين تجاهلاً كاملاً عادات وتقاليد الأفريقيين[1].

ويعد هذا القرار الذي اتخذته الإدارة الاستعمارية الفرنسية سبباً لهجرة العديد من الأهالي والنزوح إلى السودان خوفاً من زج أبنائهم في المدارس الفرنسية، ذلك لأن أهل الشمال عامة كانوا ينظرون إلى الفرنسيين باعتبارهم غزاة ومستعمرون وكفار، يحاولون فرض حكم استعماري بغيض. وتنصير الأهالي عبر هذه المدارس لذلك ظل التعليم في الشمال يغلب عليه الطابع الديني، ويكاد ينحصر في حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم الفقه والتوحيد واللغة العربية وآدابها وكانت حلقات الدراسة تتم داخل البيوت والكتاتيب على أيدي بعض شيوخ الصوفية والقادرية، أما المدارس الفرنسية فلم يلتحق بها إلا أبناء الزعماء التقليديين وأبناء الأجانب من السنغاليين والتوغوليين والكمرونيين الذين جاءوا الجنود مع القوات الفرنسية[2].

1- د. سعيد عبد الرحمن الحنديري، تطور الحياة السياسة في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م، ص60

2- الحنديري، المرجع السابق، ص 78

وإذا كان الأهالي في الشمال قد حاولوا قدر الإمكان مقاطعة التعليم الفرنسي، وذلك إما بإخفاء أبنائهم ، أو بالنزوح من مقاطعة وداي.

وقد اختارت أسرة الشاعر عيسى عبد الله النزوح إلى أرض السودان، والتي كانت ترزح تحت الاستعمار الإنجليزي، حيث هاجرت أسرته إلى السودان واستقرت في منطقة كردفان، وحطت رحالها في مدينة تدعي "أم روابه" حيث نشا الشاعر عيسى عبد الله وترعرع وتلقى بداية تعليمه في مدارس ام روابه بمقاطعة كردفان السودانية وقد خلفت مدينة أم روابه أثراً كبيراً في ذاكرة الشاعر عيسى عبد الله.

تعليمـــــه:

درس عيسى عبد الله جميع مراحل تعليمه في مدينة أم روابه ، وذلك ابتداءً من التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي. ونال الشهادة الثانوية السودانية عام 1968م والتحق بجامعة الخرطوم ، فرع كلية الآداب ، ولكنه لم يتمكن من إكمال دراسته بسبب انضمامه إلى جبهة التحرير التشادي "فرولينا" والتي أدمن عشقها وأثرت في حياته الذاتية والشعرية تأثيراً كبيراً.

البيئة في كردفان:

أسهمت البيئة في مدينة أم روابه في بناء شاعرية عيسى عبد الله فقد لعبت البيئة التي ترعرع فيها. دوراً كبيراً في مده بالأسباب اللازمة لتكوين شاعريته، وتفتق موهبته الشعرية.

فالبيئة في غرب السودان حيث نشا الشاعر تبدو وكأنها امتداد للبيئة في شرق تشاد، في منطقة وداي حيث ولد الشاعر ونزح منها إلى كردفان وهذا التشابه لم يشعره بالغربة والانطواء ولم يجعله يعاني كثيراً ولاسيما أنه هاجر مع أسرته كلها هذا من جانب. ومن جانب آخر أنه لم يألف بيئة مواطنه الأصلي، حيث فارقها وهو في عز طفولته مما يعني خلو ذاكرته من الارتباط بموطنه الأصلي الذي لم يتعرف عليه آنذاك إلا من خلال ما سمعه من أسرته عن موطنه والمعاناة التي يعيشها وقد ساعدت البيئة في أم روابه على شحن ملكة الشاعر منذ الطفولة، فالبيئة فيها بيئة مدمنه للغناء والكلمة فكل شيء يغني في أم روابة ، فحفلات الحصاد، وليالي السمر والأغاني الشعبية، وأغاني البقارة والمناسبات وتمتع معظم الأهالي بسرعة البديهية وارتجال قول الشعر الشعبي منه خاصة.

شاعريتـــه:

يعتبر عيسى عبد الله شاعراً موهوباً وقد أسهمت البيئة التي نشا فيها في تنمية شاعريته وتقوية ملكته الشعرية. وقد ساعد تعليمه في المدارس السودانية وأنشطتها المكثفة في الأناشيد من ناحية وكذلك المكتبات والمجلات والجرائد ثم الوعي الفكري في الثورة وفي الفكر الاشتراكي، والغربة والتفكير في الوطن ومعاناته، والاستعداد الخاص لعيسى عبد الله كل هذه مجتمعة وغيرها، أسهمت مساهمة كبيرة في تكوين موهبة الشاعر عيسى عبد الله والذي اعتبر رائد التيار التجديدي في تشاد لأن أول من كتب بأسلوب التيار التجديدي، ويرجع ذلك إلى عام 1972م في قصيدته "تأججي" التي كتبها تحية للثورة المشتعلة في المستعمرات البرتقالية بإفريقيا الخضراء ومطلعها:

تأججي. تلهبي

أيا نيران ثوار سعوا في الأرض

فتوجي وقببي

جميع الغاب في بيساو كي ينهض[1]

ينظمها شاعر تشادي، وهو الشاعر عيسى عبد الله، وبذلك تربع الشاعر على مقدمة الريادة في الشعر التجديدي بل على حسب اعتقاد الباحث، أن الشاعر عيسى عبد الله يعتبر رائد الشعر التجديدي عامة، ونقطة تحول في ميدان الشعر التشادي، حيث لم يسبقه شاعر تشادي. في مختلف المراحل التي عرفها الشعر التشادي في قوة السبك وتعدد الأغراض وغزارة الإنتاج وروعة العمل الفني الشعري، وقوة العاطفة وصوف العبارة وجودة الإيقاع والموسيقى الشعرية ، وسلامة البناء الفني للقصيدة.

اتجاهه الشعري:

يتربع عيسى عبد الله في قمة هرم التيار التجديدي في الشعر التشادي المعاصر.فهو ملتزم بالاتجاه التجديدي ويعلي من درابة التيار الواقعي وتعكس أعماله الشعر في معظمها روح التغيير والثورة ضد الواقع المعاش. كما أن المتجددين يسعون من خلال أشعارهم إلى التأثير في اتجاه المصير وتغيير الواقع والتجديد في الشعر لا يتجدد بشعر التفعيلة أو

1- عيسى عبد الله فضل، حذو ما قالت حذام – ديوان شعر، الناشر مجلس الثقافة العام، طرابلس- ليبيا 2006م، ص62

الشعر المنثور أو المرسل، ولكنه يتحدد بموضوع وغرض أنها معاناة الإحساس بخضوع الآخرين قضية عدم التحلي بالروح الثورية.

وفي قصيدة أخرى، يسخط على طغيان المادية التي كسرت سدود المبادئ والقيم وصار كل شيء مستباح في الوطن، فيقول في قصيدة (تهاد)[1].

هل نحن في بلادنا نقود ؟ ❖❖ أم يا ترى تقودنا النقود
قد اسلم القياد من تحدي ❖❖ عوناً وإن تلطفت عقود
ما لازم الإعانة اشتراط ❖❖ ألا استوى المعان والمسود

إلى قوله:

باغ يريد سلنا بقايا ❖❖ حرية هي التي تريد
والبغي كالسموم لا قديم ❖❖ يغذو – فيجتني – ولا جديد

إلى قوله:

من باع بعض روحه فأثرى ❖❖ ليس الذكي بل هو المكيد
يمضي على خطا عجوز سوء ❖❖ لا تترك الخنا ولا تحيد
قد انفقت شبابها تباغي ❖❖ حتى ذوي فلم تزل تقود
والاتجار بالنفوس أمر ❖❖ مما يلي – فيدمن – البليد
ويل لكل بائع وشار ❖❖ سعر الضمير منهما زهيد
والويل للشعوب حين تعنو ❖❖ للمغريات إنها القيود

القصيدة، وبنائها وما تزخر به من صور شعرية فنية. كما أن الشعر التجديدي عبارة عن رسالة إنسانية ويسعى إلى مناقشة قضايا المجتمع والإنسان، والحياة والوجود.

ويتصف الشاعر المجدد في معظم الأحوال بالتمرد والثورة ضد الممارسات السلبية في مجتمعه ويحاول جاهداً أن يغيرها بالكلمة. بالشعر، لذلك يتسم المجددون برهافة الأحاسيس، وقوة العاطفة مما يخلف فيهم المعاناة ومرارة الحسرة والشعور بالغربة في داخل أوطانهم[2].

والتجديد كما يقول عيسى عبد الله "الشاعر الذي استطاع أن يعبر عن تجربته بكفاءة وأن ينقل ما يحس به في كل صور وأخيلة ورؤى هو شاعر ناجح، ولكن ينبغي أن

1- المرجع نفسه، ص 89

2- د. سعد علي، الشعر الحديث جداً في الوطن العربي وفي المهجر، دار السنول ، دمشق ، ط2، 1981م، ص 15

يكون هناك ما يعرف بالموسيقى أو الإيقاع وروح الشعر هو الإيقاع ومهما كانت المغاني التي يأتي بها عميقة، لا يمكن أن يكون شعراً ما لم تكن له موسيقى موقعة باعثة على الطرب والحركة والاهتزاز[1].

وبقوة عصفا رياح التيارات التجديد تمكن الشاعر عيسى عبد الله من احتراق جدار الصمت ، بصوته الصارخ وهدير.

كما يقول الشاعر عبد القادر محمد أبه.

وكن وطناً وكن فلكاً وكن حبا وكن ربان

وراع علاقة الحب بين الأرض والإنسان

فالوطنية هي تداخل المشاعر والأحاسيس وامتزاجها بعبق التربة المنعش وملامح الطبيعة الرائعة مما يشكل الارتباط بين الأرض والإنسان.

والشعر التجديدي في تشاد يزخر بالشعر الوطني، وأن الرؤية الثاقبة لمفهوم الوطنية يتسع أفقياً عند المجدين أكثر منه عند التقليدين من الشعراء.

وعيسى عبد لله على طليعة الشعراء الذين أدمنوا الإنشاد للوطن، وقد جعل من مختلف القضايا الوطنية، منبع يستلم منه قصائده ، متفاعلاً مع الأحداث، رافضاً كل ما يمس كرامة الوطن، والإنسان وحدود وامن الوطن وتناول عيسى عبد الله عبر إشعاره كل ما شأنه المساس بالوطن من قريب أو بعيد. فقد صار الوطن قضيته لذلك فإن معظم إشعاره، تدور حول محور الوطن وعلى سبيل المثال قصيدته "إلى متي" تتناول قضية عدم الاستقرار السياسي الذي يترتب عليه عدم مفرقعات كلماته الثائرة ودوي ارتفاع كلماته، ليكشف عن دروب تؤدي إلى حدود الحرية التي لحلم بها عيسى عبد لله والثورة.

لم يكمل عيسى عبد الله دراسته الجامعية بالخرطوم ، حيث انضم في صفوف جبهة التحرير الوطني التشادي "فرولينا" 1998م ومن يومها وجد عيسى عبد الله منبع إلهامه الشعري ، وقضيته الفكرية التي يدافع عنها بالسلاح والكلمة وناضل في الثورة من أجل تحرير الوطن من براش الاستعمار وأذنابه.

وساعدت بيئة الثورة من ترسيخ حب الوطن في فؤاد هذا الشاعر وتمكن من اعتماد مبادئ يؤمن بها في حياته مثل المساواة والعدالة والحرية، وقد استمدها من أفكار الثورة

1التيارات التجديد في الشعر التشادي العاصر ، دراسة مقارنة للشاعرين عبد القادر محمد وعبد الواحد حسن السنوسي، رسالة دكتوراه مولود محمد أبكر، جامعة النيليين، ص 61

التي كانت تهتم بمبدأ الاشتراكية ومن هنا وظف الشاعر عيسى عبد الله جانباً كبيراً من شعره لقضية الثورة التي كانت يؤمن بها ويتمسك بها، وكان وفياً ومخلصاً لها حتى نهاية حياته في الخرطوم عام 2012م.

المبحث الثاني

الوطن في شعر عيسى عبد الله

الوطن أو الأرض – التي ينتمي إليها الإنسان، انتماءً لا تقاس روابطه بالماديات بل يتعدى ذلك إلى المعنويات[1].

فالوطن هو الموطن الذي استوطنه الإنسان، وعاش فيه وارتبط به تاريخياً وثقافياً وسياسياً س، وهو مثوى أسلافه ومهد أحفاده[2].

فالوطنية شعور يدل على الانتماء إلى وطن معين. ويشير إلى المشاعر التي يكنها الفرد نحو الوطن، والإحساس والتفاعل مع قضايا هذا الوطن هو سن الدوافع الأساسية في توليد الطاقة الشعرية في موضوعات مرتبطة مع صميم ما يحدث في هذا الوطن عن طريق ارتباط الشاعر بالأرض واكتسابه للهوية والتي هي "مجموعة الخاصيات والملامح التي تتكون منها الشخصية المتميزة لمجموعة بشرية[3].

فالهوية هي الرابط ما بين الأرض والإنسان عن طريق الارتباط الانتمائي وتكسبه هويتها وبالتالي حبها والإحساس بها، والتفاعل مع كل ما يدور فيها من أمور.

عدم والسلام، وبالتالي لا تنمية ولا تقوم، ولا أمان للإنسان، يقول الشاعر عيسى عبد الله[4].

حياتنا إلى متى

نعيشها تماوتا

فندمن التلفتا

ممكنين من عتا

1- د. سهي كمال الوادي، الوطن ذلك المعشوق، الناشر الواحد، دمشق 1936م

2- د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في أشعر العربي المعاصر، دار المعارف لبنان، ط3، 69

3 د. عبد العال الودغيري، اللغة والدين والهوية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب عام 2000، ص67

4- عيسى عبد الله، حو ما قالت حذام ، مجلس الثقافة العام – ليبيا

وداٸماً مؤقتا

إلى متى إلى متى

إلام نبـــدأ الســـري بمصلـــح ❖❖ فننتهي لـدى الضحي بطاغية

معظـم وملمـــم ولا يطـــيق ❖❖ من حناجـر الجمـوع لاغـــية

وأين فـــي ولاتنـا مـن استوى ❖❖ فلم يعـــد بصـول كي نناغيه

فالشاعر يتساءل في حيرة وتعجب هذه الحياة إلى متى تستمر على من النمط إلى متى نعيش التماوت ولا أموت لا نستطيع الحراك كي نغير ما يحد في الوطن الكل صار مدمن التلفت يميناً ويساراً بحثاً عن القائد. الذي يأتي سدة الحكم، فتخضع له، حتى نمكنه فيصير جباراً ميتاً، ولكن لزمن مؤقت، حيث يأتي غيره ليحل محله، أنها لعبة المصالح الأطماع. حب السلطة أمام هذا الشعب الضعيف الذي يتماوت ولا إرادة له في هذه القصيدة يتناول عيسى عبد الله قضية الإعانات والمساعدات بين الدول وأحياناً تأتي هذه المساعدات تحت غطاء المساعدات الإنسانية للأمم الفقيرة.

وريثما تأتي المساعدات سواء إعانات أو نقود فإن هذه النقود يبدأ أصحابها بالتدخل في شئون البلاد وفرض سيطرتهم وتملية سياستهم التي غالباً ما تكون غير منصفة ولا مرضية وتحاول أن تسلب البلاد حريتها وبالتالي تفقد سيادتها وتكون تحت سيطرة البلاد التي ساعدتها وقدمت لها الإعانة.

فكأنه يحذر أن كل من طمع في إعانة الغير فقد سلم سيادته لهم، وإن كانت شروط العقد مبينه واضحة.

وان الإعانة إذا كانت بشروط فمعنى ذلك أن هناك مساواة بين المعين والمعين، حتى في السلطة.

وان كل من قدم الإعانة لنا، فهو ظالم يطمع في سلب حريتنا وهي آخر ما تبقى لنا.

والظلم والاعتداء مثل سم جديده وقديمة سواء.

ويقول:

من باع روحه وضميره من أجل أن يصير غنياً، فهو ليس يذكر بل هو صاحب المكيدة التي تجر الشعب والوطن البلاء والمصائب.

ويكون هو سائر على خطأ عجوز سوء ودربها وعجوز سوء يقصد بها فرنسا، وهذه العجوز لا تترك الخنا والظلم. ولا تحيد عن طريق الظلم والاعتداء وهي متمرسة في هذا

الميدان الذي اتفقت طيلة شبابها في البغاء والسوء حتى ذوي شبابها وأصابها الكبر فصارت تقود إلى طريق الظلم والخنا والتجارة بالنفوس من الأمور التي يدمنها من يمارسها وكل من يمارس هذه العادة فهو البليد.

وأخيراً يتوعد الشاعر كل بائع لنفسه وضميره وكل من بشرى النفوس والضمائر فإن سعر البيع سعر زهيد ، مقارنة مع الروح والضمير.

يعني زعماء البلاد الذين يطلبون الإعانة، وفرنسا التي تقدم الإعانة الويل لهم، بل الويل للشعوب عندما تخضع للمغريات، وملذات العيش، متاع الحياة التي تأتي عن طريق الإعانات، وما هي إلا قيود تسلب الحريات وتقمع الشعوب وتستولي على السيادة فعيسى عبد الله أعمق شعوراً بقضايا وطنه وأمته ومصيرها وهو أكثر معاناة من تلك الروابط التي تربط موطنه بالمستعمر فهو يرى فيها مجرد استعمار مكسور يريق التعاون فهو شاعر بها يؤمن به، وما يتمسك به، وما يراه خدمة لقضية الثورة والوطن في نضاله الطويل المرير ضد المستعمر.

وتعكس الألفاظ والعبارات سفي سياق القصيدة، الجانب النفسي الوجداني للشاعر، فهو يوظف عبارات وألفاظ نابغة من عقله الذي يتملكه هاجس الوطن وقضاياه فالأفكار في القصيدة الشعرية لا تبرز إلا من خلال الألفاظ والمعاني (فاللفظ والمعنى متلازمان والعملية الفكرية واحدة، لا تقبل التجزئة أو القسمة)[1].

وفيما تظهر الصورة الأدبية وتتجلى عن طريق صياغتها من خلال هذا التلازم بين اللفظ والمعنى تبرز العملية الفكرية بين الألفاظ في السياق ودلالتها على المعنى العام[2].

فالألفاظ والمعاني تفرضان الفكرة والفكرة هي قضية من قضايا الوطن يتعرض شاعر بالرفض والتمرد، من هنا اكسب شعر عيسى البعد الثوري فالألفاظ من حيث هي ألفاظ لا تطلب بحال وإنما تطلب من أجل المعاني والسياق[3] والتعرض لقضية ما يعني الكشف عنها، وتحليلها وتقديم الأسباب والبراهين التي تشير إلى فسادها، وكل هذا نشاط عقلي:

1- قريرة رزق، الاتجاه الرومانسي للشعر الحديث بالمغرب ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، 1998م، ص 178

2- د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، 1973م ، ص 176

3- النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص 261

فإذا المحرك الأول لعيسى عبد الله في تناول القضايا هو الثورة يكون عيسى عبد الله الشاعر لا يستطيع الانفصال من عيسى عبد الله الثائر صاحب القضية والفكرة الثورية لذلك نلاحظ أن أفكار الشاعر عيسى عبد الله الثورية والسياسة تطغى على أعماله الفنية، وهذا ينعكس على شعره على حد قول د. عبد الله حمدنا الله " أن عيسى عبد الله يفكر شعر ولا شعر فكر".

1- الطغيان العقلي والفكري في الأعمال الفنية، فهو يقوم بصياغة أشعار لأجل خدمة قضية معينة، فرضها على نفسها، وهي الثورة، وما تجره من أغراض تتعلق بالسياسة والأشعار الوطنية، وذلك برؤية محددة تتناسب والمبادئ التي يتمسك بها الشاعر.

2- الحرص على التقنية عند صناعة الشعر فهو يهتم بالألفاظ والتعابير التي تسهم في خلق الإيقاعات والأنغام، قاصداً بذلك إضفاء جرس موسيقى داخلي إضافة إلى اهتمامه بالوزن.

فيمكن القول: أن عيسى عبد الله يكتب شعر تطغى عليه الناحية الفكرية، مما جعل أفكاره تطغى على عاطفته وصناعته تؤثر على حريته الفنية، ولعل الشاعر عيسى عبد الله انتهج نهج المذهب العقلي الفكري الذي يقابله المذهب الفني الجمالي[1].

وبهذا النمط من قرض الشعر استطاع عيسى عبد الله أن يكون له أسلوبه الخاص، والذي لا يشاركه فيه شاعر آخر إضافة إلى تميزه بالموسيقى الشعرية والإيقاع الداخلي بصورة متقنة مما جعل شعره متميزاً ورائعاً. وقوياً في أسلوبه بطريقة لا يطالها أي نقص والقضايا في شعر عيسى عبد الله، لا تتغير ولا تتبدل أنها قضايا الوطن، وإنما يحدث في ساحة الوطن من ممارسات سياسية لا ترضي ضمير الشاعر الثائر فالثورة عنده هي التغير والتبدل من حالة سيئة إلى حالة حسنة، هي السر الذي يقلب بكاء الشعب إلى ابتسامات وفرح، هذه الثورة ترى أن المستعمر هو العائق الأول في سبيل تحقيق وسبيل انطلاق الوطن في دروب الحرية، ففي قصيدته (ما لم) يتخطى عيسى عبد الله فرنسا الأم، إلى أبناء فرنسا وأذنابها الذين يرى فيهم أنهم بلية أفريقيا، ويؤدون دور المستعمر بالنيابة ، فيقول[2]:

1- د. ميشال عاصي ، الفن والأدب ، الشركة التونسية العامة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1995م ، ص 85

2- حذو ما قالت حذام ، مرجع سابق ، ص 159

بليتـــنا ذئـــاب تطبع معطـــوا ❖❖ فعـم الأقف من فتكاتـــهم قحط
اواديـون أو مسلطـــــــون ذو ❖❖ نفوذ أصله الإفرنج أو شـــــرط
وقـادة عسكـر وحثالـة بعثـوا ❖❖ حياة لا يؤدون الـذي اخترطـو

فالشاعر يرى أن بلية الشعب التي يعاني منها، هي عبارة عن ذئاب تطبع، أي ذئـاب في سلوكهم ومطبوعون على شاكلة سلوك المستعمر فهؤلاء عمت البلايا في البلاد بسببهم.

وعم القحط والمجاعات، ذلك لأنهم ذئاب طبعوا على الطمع والجشع وجمع المال على حساب الشعب المعين أنهم صناعة المستعمر وتربيته تشبعوا بثقافة وتشكلوا على هيئته، واتبعوا أساليبه في كل شيء. فكان الوطن لا يعنيهم وكأنهم ليسوا مواطنين.

ويستطرد الشاعر قائلاً[1]:

ومن زعماء– مزعومين– مبدؤهـــــم ❖❖ متاجـرة وكـــل حديثـــهم سقـــط
ومنحرفين كانوا في شعاف قلوبنـــــا ❖❖ زمنـــاً مضـــى لكنـــهم شحـــطـــــو
إلى خلـــــف بـــداة كمـا يجبرني ❖❖ تبجحهم بما سقـطوا ومـــا بلطـــوا

فأبناء المستعمر هؤلاء الذئاب صاروا زعماء ولهم مبدأ واحد وهو المتاجرة، وكل أحاديثهم افتراء وكذب وقد خدعنا مظهرهم وأحاديثهم ردحاً من الزمن، فأحبهم الشعب، ولكنهم سقطوا في أعين الناس عندما تكشف حقيقتهم وعرف معدنهم وعرف أن هؤلاء جهال. وان تصرفاتهم غير راقية ، كثرو التيحج بالأعمال الباطنة الفاسدة.

فالشاعر يشير إلى فئة من ساسة البلد وقادتها يظهرون كأنهم مواطنين حريصون على أمن وسلامة وتقدم الوطن والمواطن ، ولكن في الحقيقة هم ذئاب لا هم لهم إلا نهب المال وسرقة البلد. طبعوا على الطمع والجشع، وحب الذات، فهم بلية الوطن وبلاء المواطن.

فعيسى عبد الله يتناول قضية وطنية حساسة وعميقة في أبعادها، ومع هذه الحقيقة السافرة، تظل مصائب الوطن في تزايد ما دام هؤلاء الذئاب على سدة الحكم ، وبيدهم زعماء البلد، وهم لا يعرفون إلا فرنسا لأنهم فرنسيون ببشرة أفارقة والمستعمر لا يضيع إلا مستعمراً آخر يخلفه في استعمار البلاد بصورة أخرى.

1– حذو ما قالت حذام ، مرجع سابق ، ص155

يقول عيسى عبد الله في الاستعمار[1]:

هم استعمرونا فعاشوا فساداً ❖❖ كما عاث وسط البساتين فيل

موالاتهم كاحتضان الأفاعي ❖❖ وتمدينهم شائعات تهول

فالشاعر يصور عبث الاستعمار في بلاده وقد وظف هذه الصور الغنية ليعكس هيئة بلاده وجمالها وخضرتها ووفرة خيراتها فوصفها بالبستان أما المستعمر فقد وظف له صورة حيوان ضخم أهود مدمر قوي. وهو الفيل عندما يدخل البستان.

فموالاة هذا المستعمر والثقة والركون إليه، يشبه احتضان أفاعي وما فيه خطر كبير، وتهديد بالهلاك لأن الأفاعي ماكرة غادرة فالشاعر يشير بأن المستعمر قد دمر البلاد الجميلة ونهب ثرواتها وعاش فيها فساداً فلا يمكن الوثوق به أو الركون إليه[2] لأن ماكر وخبيث وغادر كالأفاعي فالمودة معه أنها هي هلاك بين وضياع مؤكد.

وتكشف الصور الاستعمارية التي صاغها الشاعر ليصف بها المستعمر تكشف عن مدى كراهيته وبغضه للاستعمار كما تبرز من جانب آخر مدى حبه الكبير ووطنيته الخالصة لهذا الوطن، كما تكشف نبرته عن مستوى الغليان والثورة في دواخله.

وعيسى عبد الله في قضاياه الوطنية : لم يكتف بوصف معاناة الوطن وعذاباته والويلات التي تحف به من كل جانب سواء من المستعمر وكيده ومؤامرته على البلاد. أو من أبناء المستعمر والموالين له من أبناء البلاد أو من الساسة الذين يشعلون الحروب من أجل السلطة أو من أصحاب الأطماع والمصالح الذاتية. أو من قنوط الشعب وتماوته وخضوعه لكل طاغية ومستبد، أو ثورته على الفساد والقيم، أو معاناته من الاستلاب والجهل والقبيلة فكأن كل تلك المعاناة والعذاب، الذي يعتمل في وجدان الشاعر وكل اهتمامه بالوطن وقضاياه، ليس نابع على فراغ، وإنما من حب الوطن ومستوى جماله وخيراته وطبية أناسه. هذا الجمال كله يستحق أن يكافح الشاعر من أجله.

وقد ضمن عيسى عبد الله جمال وطنه وسحره وروعة طبيعته وبساطة أهله، ونبلهم وعزتهم، كل هذه الخصال من أسباب تمسكه بالوطن والتغني بجماله والنضال من أجله وقد جمع كل ذلك في قصيدته الرائعة (لكريف) التي تعكس جمال وسحر الوطن وروعة الطبيعة. وجمعت بين جمال الأسلوب ورقة التعبير وقوة العاطفة ودقة التعبير وجمال

1- حذو ما قالت حذام ، مرجع سابق ، ص 218

التصوير، وانعكاس الواقع الذي يشوبه شيء من الخيال المحلي بتجليات الوجدان المفطر بالمحبة والإخلاص للوطن، وقد استلم الوطن بطبيعته الساحرة، وأرضه الطاهرة وبراءته الظاهرة استلهم الشاعر ومده بأسباب الإلهام فنظم قصيدة فريدة في قيمتها ومعناها وجملها، أنها صورة فنية رائدة تعكس طبيعة البلاد بكل ما فيها من خيرات وأنعام وجمال وكمال، فكان بذلك ثوري يحارب بالسلاح ويقاتل كما هو شاعر يناضل بالكلمة، ويمجد وطنه بالشعر.

يقول عيسى عبد الله في قصيدته "لكريف".

أشهد مصفى رقيقاً يسيل ❖❖ أم الدر إذ يشتهيه الفصيل

أم الريق ريق التي لم تنول ❖❖ محباً غليلاً فجن الغليل

إلى قوله:

مياه لازومتجرى بكرفي ❖❖ فتسقي دليبا فداه النخيل

ونخبوه من سكر ذاب فيها ❖❖ وممـا حباها دعاشبذول

فشانكة حلوة مالها في ❖❖ سوى هذه الأرض حصراً مثيل

رعى الله أزوم كم فنون ❖❖ بشطانه الخضر ليست تحول

شذي كالخزامى لطيف وحسن ❖❖ بدا في خزاميه يستميل

وريف وريف ونور طريف ❖❖ ومرعى عطوف وصيد يحول

إلى قوله:

بلادي جلال وسحر حلال ❖❖ وماء زلال وطرف كحيل

هي الرمز عندي ومعنى المعاني ❖❖ غنى في سخاء وفقير نبيل

وفيها نعيم ولي منه ريم ❖❖ وشعب كريم وحظ بخيل

وما قد موت أرضها من مهاها ❖❖ إلى قردها في عيوني جمل

ويعبر عن حبه لبلاده[1] :

لحبي بلادي سأسخو دواماً ❖❖ بجهدي وفكري وما قد أقول

فما العمر ألا جناها ففيها ❖❖ ترى كالتواني وتعطي الفصول

1- حذو ما قالت حذام ، ص 217

ويمضي عيسى عبد الله في تصوير بلاده بطبيعتها الرائعة وجمال فتياتهم وسماحة أهلها، كما يتعرض للمستعمر وأعماله الشنيعة التي أدت إلى اندلاع الثورة، كما يذكر أقطاب الثورة مثل دكتور "يونو" وابتشة والباقلاني. وأنه على دربهم سائر، وأن الغاية من حياته هي الثورة حتى تحقيق النصر أو الشهادة.

وقد وظف عيسى عبد الله قاموس الطبيعة، وذج بألفاظ محلية، إضافة إلى حسن توظيفه للألفاظ الدالة على الطبيعة وسحرها وزان قصيدة بالإيقاع الداخلي في مثل قوله1.

وريف وريف ونور طريـــف ❖❖ ومرعى عطوف وصيـــد بجول

وفي مثل قوله 2:

بلادي جلال وسحر حـــلال ❖❖ وماء زلال وطرف كحيـــل

وفيها نعـــيم ولـــي مـنه ريم ❖❖ وشعب كريم وحظـــب بخيل

وقد زادت الصور البلاغية من جمال القصيدة وزانها حسن الإيقاع، وترادف العبارات روعة، جعلت من القصيدة تحفة فنية. كشفت عن الطاقة الإبداعية وسعة آفاق الشاعر، ومعرفته الدقيقة لبلاده وجعله من القصيدة من أرقى الشعر وأروعه.

الخاتمة:

اشتمل الشعر التشادي عامة في مختلف مراحله، بروعة القصيدة وتعدد الأغراض. وتميز الشعر المعاصر بغزارة الإنتاج وقوة العبارة، وتعدد الأغراض عبر التيارات التجديدية.

ويعتبر عيسى عبد الله من أبرز الشعراء المجددين بل هو رائد التجديد اعتباراً لقصيدة "تأججي" التي يرجع تاريخ نظمها لعام 1972م، وبذلك تكون أول قصيدة في الشعر الحر يكتبها شاعر تشادي.

ويعد عيسى عبد الله شاعر الثورة، فشعره عامة يتعرض لقضايا الوطن والنضال ضد المستعمر، والتعرض للفساد وإتباع المستمر، وضياع القيام والمبادئ التي ترسخ حرية الإنسان وكرامته.

1- حذو ما قالت حذام ، قصيدة لكريف ، ص 216

2- المرجع نفسه ، ص 216

فهو الشاعر الثائر، وشاعر الثورة ، وقد تميز شعره بطغيان الجانب العقلي الفكري مع قليل من العاطفة، وهو دقيق التصوير قوي العبارة يميل إلى توظيف العبارات الغامضة الصعبة، الأمر الذي يجعل من شعره بعيد المنال لدى أغلب القراء.

وقد تميزت قصائده بارتباطها بقضايا الوطن، والثورة والحرية والنضال ضد المستعمر.

وتبرز ذاتية الشاعر من خلال أشعاره، كما تنعكس مبادئه التي يتمسك بها حتى النهاية وبإخلاص كبير.

ومن خلال هذا البحث الموجز توصلت إلى الآتي:

أولا: النتائج:

1- أن عيسى عبد الله رائد التيار التجديدي في الشعر التشادي.
2- أن شعر عيسى عبد الله ينحصر في قضايا الوطن والثورة والكفاح ضد المستعمر.
3- أن قضايا شعر عيسى عبد الله هي قضايا الوطن عامة.
4- الجانب السياسي يأخذ حيزاً كبيراً في شعره.
5- الجانب الفكر يطغي في شعره على العاطفة.
6- أن الأفكار والصور أكثر عمقاً في شعره.
7- اللغة في شعره أكثر نضجاً وقوة، وسلاسة.
8- يمتاز شعره بروعة الإيقاع الداخلي والموسيقى الخارجية.
9- وظف كثيراً من العبارات والألفاظ التي استمدها من البيئة المحلية.
10- الخيال عند عيسى عبد الله، خيال بناء يعمل على تجسيد الصورة للقارئ فهو وسيلة توضيح وتفسير وتعليل وتبرير.
11- ضرورة طباعة ونشر دواوين الشعر التشادي بصورة عامة وإعادة نشر ديوان الشاعر عيسى عبد الله على وجه الخصوص.
12- دراسة الأدب والشعر في تشاد، دراسة علمية منهجية لكشف ما به من جودة ورصانة ومضامين وقيم رفيعة.
13- تكريم الشعراء والأدباء الذين عملوا على ترسيخ وتأصيل اللغة العربية.

المراجع والمصادر

1. د. سعيد عبد الرحمن الحنديري، تطور الحياة السياسة في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي.
2. عيسى عبد الله فضل، حذو ما قالت حذام – ديوان شعر، الناشر مجلس الثقافة العام، طرابلس- ليبيا 2006م.
3. د. سعد علي، الشعر الحديث جداً في الوطن العربي وفي المهجر، دار السئول ، دمشق، ط2، 1981م.
4. التيارات التجديد في الشعر التشادي العاصر، دراةس مقارنة للشاعرين عبد القادر محمد وعبد الواحد حسن السنوسي، رسالة دكتوراه مولود محمد أبكر، جامعة النيليين، ص 61
5. د. سهي كمال الوادي، الوطن ذلك المعشوق، الناشر الواحد، دمشق 1936م.
6. د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في أشعر العربي المعاصر، دار المعارف لبنان، ط3، 69
7. د. عبد العال الودغيري، اللغة والدين والهوية، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب عام 2000.
8. عيسى عبد الله، حو ما قالت حذام، مجلس الثقافة العام – ليبيا.
9. قريرة رزق، الاتجاه الرومانسي للشعر الحديث بالمغرب ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1998م.
10. د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، 1973م ، ص 176
11. د. ميشال عاصي، الفن والأدب، الشركة التونسية العامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.